إذا مـا كنـتَ ذا قلـبٍ قَنـوعٍ فـأنـتَ ومـالِـكُ الـدُّنيـا سـواءُ
ومَـنْ نـزلَـتْ بسـاحَتِـهِ المنـايـا فـــلا أرضٌ تقيـــهِ ولا سمـــاءُ
وأرضُ الله واسعَـــةٌ ولكـــنْ إذا نـزَلَ القَضـا ضـاقَ الفضـاءُ
دَعِ الأيَّـامَ تغـدِرُ كـلَّ حيـنٍ فما يُغني عنِ الموتِ الدَّواءُ[1]

* * *

هذا أبو حفص رضي الله عنه :

ـ مشى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مرَّة في سكك المدينة ، فإذا بصبيةٍ تطيش هُزالاً ، تقوم مرةً وتقعد أخرى ، وتقع على الأرض حيناً ، فسأل : من هذه يا بؤسها! من يعرف هذه منكم ؟ فقال ابنه عبد الله : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟ ؟ قال : لا ، قال : هذه إحدى بناتكَ!

قال عمر : وأيُّ بناتي هذه ؟ هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر (أي بنته)!!

فقال عمر : ويحكَ يا عبد الله وما صيَّرها إلى ما أرى ؟ قال عبد الله : مَنْعُكَ ما عندك .

قال عمر : إنَّكَ والله ما لك عندي غير سهمكَ في المسلمين ، وسعكَ أو أعجزكَ!

وهذا كتاب الله بيني وبينكم . . .

ـ وقَدِمَتْ إلى المدينة المنورة قافلة من التجار ، وكان فيها الأطفال والنساء ، فقال عمر الأمير لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما : هل لك أن تحرسهم هذه الليلة ؟!

---

(١) من ديوان الإمام الشافعي ص ٢١ .

وباتا يحرسانهم ويصلِّيان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجَّه نحوه قائلاً لأمِّه : اتَّقي الله وأحسِني إلى صبيِّكِ ، ثم عاد إلى مكانه ، وتكرَّر البكاء وتكرَّرت نصيحة عمر لها ، ثم قال لها : ويحكِ ، إني لأراكِ أمَّ سوء! ما لي أرى ابنكِ لا يقرُّ منذ الليلة ؟

فقالت ـ وهي لا تعرف أنه أمير المؤمنين ـ : يا عبد الله ، لقد أتعَبْتَني هذه الليلة! إنِّي أحملُ صبيِّ على الفِطام كُرهاً فيأبى ، قال : ولِمَ ذلك ؟

قالت : لأن عمر لا يفرضُ إلا للفطيم : (لا يعطي للآباء عن أولادهم العطاء إلا مَنْ فُطِمَ منهم) .

قال : وكم عُمر صغيركِ ؟ قالت : كذا وكذا شهراً . .

فقال : ويحكِ لا تعجليه ، فصلَّى الفجر إماماً بالمسلمين ـ كالعادة ـ وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلَّمَ قال : يا بؤساً لعمر كم قَتَلْتَ من أولاد المسلمين!! ثم أمرَ مُنادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنّا نفرضُ لكل مولودٍ في الإسلام . . .

فهل رأى التاريخ مثل ديمقراطية أبي حفص ؟ ؟

يسهر على رعاية القافلة مع فردٍ من أفراد المسلمين ، وهو مَنْ هو ؟ إنه قاهر كِسْرى وقيصر وإمبراطوريتهما ، كيف تحسَّس آلامَ الأمَّهات والأطفال الرُّضَّع وبكى وبكى على ما فعل في أولاد المسلمين . . .

فرحمكَ الله أبا حفص ، وأعلى من مكانكَ في الفردوس الأعلى .

* * *